

أضواء البيان

@ 404 @ .

وجاء في الحديث : (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله) ، ولا معارضة بين النصين ، إذ الدخول بفضل من الله وبعد الدخول يكون التوارث وتكون الدرجات ويكون التمتع بسبب الأعمال . فكلهم يشتركون في التفضل من الله عليهم بدخول الجنة ، ولكنهم بعد الدخول يتفاوتون في الدرجات بسبب الأعمال . قوله تعالى : { إِن زَبَّأكَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } . في الآية التي قبلها قال تعالى : { بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } . . .

وهنا قال : { نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } ، ولم يقل نجزي العاملين ، مما يشعر بأن الجزاء إنما هو على الإحسان في العمل لا مجرد العمل فقط ، وتقدم أن الغاية من التكليف ، إنما هي الإحسان في العمل { تَدَارَكَ السَّذِي بِيَدِهِ الْمُلُوكُ وَهُوَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ السَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْدِلَوكُمْ أَيْسُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } . . .

وتقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه بيان ذلك في سورة الكهف عند قوله تعالى : { إِن زَبَّأ جَعَلْنَا مَا عَلَي الْأَرْضِ رِضًا زِينَةً لَّهَا لِنَبْدِلُوكُمْ أَيْسُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } . قوله تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ } . هذه الآية الكريمة من آيات الاستدلال على أن الكفار مؤاخذون بترك الفروع ، وتقدم التنبيه على ذلك مراراً ، والمهم هنا أن أكثر ما يأتي ذكره من الفروع هي الصلاة مما يؤكد أنها هي بحق عماد الدين . قوله تعالى : { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } . أي بعد هذا القرآن الكريم لما فيه من آيات ودلائل ومواعظ كقوله تعالى : { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ } . . .

وقد بين تعالى أنه نزله أحسن الحديث هدى في قوله تعالى : { اللَّهِ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ كِتَابًا مِّمَّنْ تَشَاءُ بِهَا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَإِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ } . . .

وذكر ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم إلى أبي هريرة يرويه : إذا قرأ { وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا } فقرأ { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } فليقل : آمنت بالله وبما أنزل .